# النظرة الموضوعية عند ابن جزي الكلبي من خلال مقدمته، وتطبيقاته في التفسير

مقدمته : سلمى داود إبراهيم بن داود
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فإن القرآن الكريم كتاب هداية ، وإرشاد، والمؤمن يرد كل شيء إلى كتاب ربه عز وجل وما زال العلماء منذ نزوله يتعاقبون على دراسته، ويعكفون على النهل من معينه، والتزود من هدايته. وكان لعلماء التفسير من ذلك أوفر الحظ والنصيب حيث صرفوا هممهم لتدبر كتاب ربهم، وفهم مراده –عزّ وجّل– فكان من ذلك المؤلفات العظيمة في التفسير على اختلاف مناهج أصحابها، ومن ذلك تفسير ابن جزي المسمى بـــ (التسهيل لعلوم التنزيل).

فهو تفسير مختصر نافع وجامع، ومميز في طرحه، وصاحبه عالم كبير، وجهبذ متفنن ، ومع ذلك فإن هذا العالم لم يأخذ حظه من الذيوع، والشهرة.

ونظرا لعظم فائدة تفسيره الذي تميز بطرح المسائل العلمية بصورة نكت، وفوائد تشد القارئ لقراءتها كاملة، لبراعة الأسلوب، وجودة الطرح، ولعظم شأن مقدمته المشحونة بالفوائد الجمة على نهج فريد، وطريقة مثلى الممتلئة بموضوعات علوم القرآن عامة، والتفسير خاصة رأيت أن أقف على النظرة الموضوعية عنده رغبة في إظهار تراث علمائنا السابقون والإشارة إلى سعة إطلاعهم وعلمهم، إذ لم يغفلوا عن ذكر الوحدة الموضوعية لموضوعات القرآن كما يتهمهم بعض المتأخرين، باعتبار أن التفسير الموضوعي لون جديد من ألوان التفسير وإسهاماً في التعريف بذلك العَلم الجليل الذي ربما جهله كثير من طلبة التفسير، فضلا عن غيرهم، وقد سُميّ البحث بـــ (النظرة الموضوعية عند ابن جزي الكلبي من خلال مقدمته وتطبيقاته في التفسير).

وقد صُدِّر البحث بمقدمة، وأربعة مباحث تحتوي على تعريف موجز بابن جزي، وبتفسيره، وبموضوعات القرآن التي تناولها في مقدمته جملة وتفصيلا ، وببعض النماذج التطبيقية من تفسيره، وموازنة في أحد مواضيع التفسير الموضوعي بين ابن جزي، وأحد المعاصرين.

## المبحث الأول : تعريف موجز بمصطلحات البحث

### المطلب الأول : التعريف بابن جزي

أ - **اسمه، ونشأته** : هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمن بن سعيد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي(1).

ولد – رحمه الله تعالى – في مدينة غرناطة بالأندلس سنة ثلاث وتسعين وستمائة هجريا، وقد توفي – رحمه الله تعالى– وهو يحرض الناس في معركة طريف سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية (741هـ) . وقد نشأ في بيئة علمية، إذ أن والده كان من أهل الأصالة والذكاء، وإليه النظر في الغنائم(2)، فظهر أثر هذه البيئة العلمية في نشأة ابن جزي –رحمه الله تعالى – فغدا من أشهر العلماء والمفسرين في غرناطة في القرن الثامن الهجري، وكان مشاركاً في فنون العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظاً للتفسير مستوعباً للكتب، وله مؤلفات كثيرة تشهد بسعة علمه، خاصة في التفسير والحديث والفقه.

**ب – أشهر مشايخه وتلاميذه :**

**أولاً : مشايخه** : لقد نشأ ابن جزي في غرناطة فترة ازدهارها بالعلماء الربانيين مما كان سبباً في قوة ابن جزي العلمية، إذ أخذ عن كثير من شيوخ عصره الذين امتازوا بغزارة العلم والزهد في الدنيا، ومن أشهرهم : ابن الزبير أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، الأصولي المفسر، النحوي، (ت780هـ)، وقد تأثر به ابن جزي كثيراً في التفسير، ولذا فإنه أكثر من النقل عنه خصوصاً في بيان أسرار التكرار في القرآن، وقد قرأ عليه القرآن، والعربية والفقه والحديث.

وابن الكماد محمد بن أحمد بن داود اللخمي (ت712هـ) كان إماماً في القراءات، وقد قرأ عليه ابن جزي القرآن، وغيرهما كثيرا (3).

---

(1) للوقوف على ترجمة وافية له يراجع : الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ).(2/256–257) هـ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن المقري التلمساني (ت 1041هـ).

(2) الدرر الكامنة (1/294).

(3) ) قد لازم ابن جزي شيوخاً كثيرين كما صرح به المقري في نفح الطيب (8/58).

**ثانياً : تلاميذه** : الطلاب لا يلزمون عالماً حتى يثقوا بمكانته، ورسوخ قدمه في العلم ، وقد لازم ابن جزي جمع كبير من الطلاب، أصبح منهم فيما بعد قضاة، وكتاب ، ووزراء، ودعاء عرفوا بنبوغهم وتميزهم. ومن أولئك : ابناه :

1- القاضي أبو بكر أحمد بن محمد الكلبي ، كان علما في الفقه، والكتابة، والشعر.

2- عبد الله بن محمد بن جزي، ويكنى بأبي محمد.

3 - وابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلساني الغرناطي (ت776هـ).

**ج - مؤلفاته** : كانت له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم وكلها شهدت له بالفضل، ونيل السبق في زمانه وكثير من تلك المؤلفات وخاصة في الأدب مفقود. ومن أشهر تواليفه :

1 -التسهيل لعلوم التنزيل. 2- القوانين الفقهية. 3- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.

**المطلب الثاني : التعريف بتفسير ابن جزي**

يعتبر تفسير ابن جزي المسمى بـ ( التسهيل لعوم التنزيل) من أشهر التفاسير التي بلغت شهرة ومكانة بين علماء القرن الثامن الهجري ، وهذا المسمى ثابت النسبة له كما ظهر ذلك جليا فيمن ترجموا لابن جزي من المتقدمين ، والمتأخرين.

وتميز التفسير باختصاره الغير المخل بالمعنى، قال عنه مؤلفه بعد أن بين مكانة علم القرآن وفضله على بقية العلوم : "وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد :

**الفائدة الأولى** : جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها، وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

**الفائدة الثانية** : ذِكْرُ نكت عجيبة، وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب، لأنها من بنات صدري وينابيع ذكري ومما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر.

**الفائدة الثالثة** : إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

**الفائدة الرابعة :** تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح"(1).

ثم بيّن منهجه في كتابه وواقع الكتاب يشهد بما قاله.

- ومن عنوان الكتاب يدل على أنه من كتب علوم القرآن، لكنه في الأصل هو تفسير القرآن وأدخل فيه موضوعات علوم القرآن ، ولا أدل على ذلك من عمل مؤلفه فيه.

وقد طبع هذا التفسير في أكثر من دار، ومؤخراً نزل بحلته الجديدة المحققة قبل شهرين(1).

والطريقة التي أتبعها ابن جزي في تفسيره كالتالي :

أنه فسر القرآن كله، وإن لم يفسر الآيات أو الكلمات كلها، وإنما أختار منها التي تحتاج إلى تفسير وترك الباقي إما لأنه قد فسرت آيات شبيهة بها، أو لأنها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تفسير، وكان يميل إلى الاختصار بقدر الإمكان مع التلخيص والجمع للأقوال، لهذا هو يبتعد عن الاسترسال في القصص ويشير إليها إشارة ولم يستطرد في الشواهد النحوية، ولم يستوف القراءات، ولم يستطرد في فروع الفقه، ولم يسر على طريقة واحدة في التفسير، فنجده مرة يقدم تفسير المفردات وقد يقدم سبب النزول ومرة يقدم المعنى العام ومرة يبدأ بذكر الإعراب ومرة بذكر الاشتقاق وهكذا .

ومما هو جدير بالذكر كثرة ورود السؤال والجواب في تفسير ابن جزي، وغالباً ما يكون ذلك دفعاً لإشكال أو إيضاحاً لغموض، أو إبرازا لنكتة في السياق، أو لطيفة في المعنى.

## المطلب الثالث : تعريف النظرة الموضوعية (التفسير الموضوعي).

توطئة : التفسير الموضوعي هو قراءة لتفسير القرآن الكريم لكن على نهج جديد يركز فيه على دراسة موضوع من موضوعات القرآن الكريم، ويبقى معه مرتبطا بمعنى معين منه، محاولاً الكشف الكلي عن مراد الله تعالى.

وقد عرفه المعاصرون بعدة تعاريف منها :

1- علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية، من خلال سورة أو أكثر(2).

---

(1) التسهيل (10/1).

(1) حقق الكتاب : أ.د.محمد بن سيدي محمد مولاي، دار الضياء للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1430هـ/2009م، والكتاب في ثلاثة مجلدات.

(2) مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم ص 16.

2- علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع (3).

3- هو إفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا، بالدراسة والتفصيل بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها - دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع(4).

والتعاريف كلها متقاربة.

فمصطلح التفسير الموضوعي مصطلح معاصر، استخدمه المفسرون والباحثون المعاصرون، وأطلقوه على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعا من موضوعات القرآن(1).

ورغم إن تفسير علمائنا السابقون - رحمة الله تعالى عليهم- تميز بالتحليل المعتمد على تفسير القرآن كاملاً سورة سورة، وآية آية وفق ترتيب المصحف، إلا إنك تجد تفسيرا موضوعيا لبعض الموضوعات ضمن التفسير التحليلي لديهم، مما يدلنا على عنايتهم بذكر موضوعات القرآن الكريم في تآليفهم، وقد كانت طريقتهم تختلف عن طريقة المعاصرين في البحث فيها، وبعض نظراتهم في التفسير تصلح أن تسمى بالتفسير الموضوعي الموافق للمصطلح المعاصر.

## المبحث الثاني : موضوعات القرآن في تفسير ابن جزي

**تمهيد :**

كان ابن جزي – رحمه الله تعالى- أحد أولئك العلماء الذين بلغوا شأنا في مجال علوم القرآن، وقد عمل بتلك المعرفة المتنوعة في تفسيره (التسهيل)، فجاءت مقدمته مشحونة بموضوعات القرآن الكريم ولقد تناول – رحمه الله تعالى – في تفسيره النظر الموضوعي في موضوعات القرآن الكريم، ولم يسترسل في ذلك وغالب ذكره لها كان في المقدمة خلا بعض المواطن اليسيرة، وهكذا نجد أكثر من ألف في القرن الثامن وما قبله لم يجعل موضوعات القرآن عامة، و التفسير الموضوعي خاصا ەدفا أساسيا ومطلبا مباشرا في تأليفه، ولعل السبب في ذلك أن الحاجة لم تكن ملحة في عصرهم إلى التفسير الموضوعي بحكم الواقع الذي كان يعيشه المجتمع المسلم آنذاك، فمتطلبات الواقع لديهم والمستقبل كان آمنة إلى حد كبير، ولذا نجد أنه عندما تطرق إلى

---

(3) المدخل إلى التفسير الموضوعي ، لعبد الستار فتح الله ، ص 20.

(4) ينظر : التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لمحمد أحمد القاسم، ص 7، والبداية في التفسير الموضوعي، لعبد الحي الفرماويص52.

(1) ينظر : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، لصلاح الخالدي، ص 29.

شيء من موضوعات القرآن أو التفسير الموضوعي فإنه اقتصر على تفصيل الموضوعات الإيمانية والعقدية فحسب ، بخلاف واقعنا اليوم والذي يتطلبه المنطق الصحيح والموضوعي المشار إليه من قبل السلف لفهم القرآن، لمحاولة التخلص من الاتهامات الموجهة إلى الفكر الإسلامي بعجزه عن التطبيق الصحيح في النظرة الشمولية للحياة، وأدرك إننا بحاجة إلى التصور الجامع للقرآن من خلال دراسة الآيات والنصوص القرآنية لبناء ووضع نظرة شمولية وعميقة في تأسيس القواعد والقوانين لتلبيته متطلبات الواقع الراهن والمستقبل.

ومن خلال استقراء تفسير ابن جزي – رحمة الله تعالى عليه – يمكن تقسيم الموضوعات المذكورة في مقدمته إلى قسمين :

**القسم الأول** : ذكر فيه موضوعات تتعلق بالقرآن الكريم من حيث : خصائصه، وصفاته، وأسماؤه ، ونحوُها من الأمور التي يذكرها المفسر على سبيل الاستنباط، أو الموازنة، أو البحث العام، وهذه ألصق بعلوم القرآن منها بعلوم التفسير. وقد أوردها في الباب الأول، والثاني من مقدمته. وهذه الموضوعات ليست من التفسير الموضوعي.

**القسم الثاني :**

موضوعات تحدث عنها القرآن الكريم، ويمكن تقسيم نظرة ابن جزي لها إلى قسمين : عام ، وخاص، وهي التي ستكتب الباحثة عنها .

- **فالقسم العام** أصوله في القرآن الكريم ويندرج تحته موضوعات فرعية، وقضايا متشعبة ، والرابط بينها : وحدة الهدف، والغاية ، لا المعنى .
- وقد عرف العلماء التفسير الموضوعي العام بأنه :" هو الذي بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط وليس في أصل المعنى"(1)، كالنسخ، والأحكام، والقصص، والنبوة، والمعاد ... الخ.
- فالرابطة بين آيات الأحكام كون كل منها يمثل حكما شرعيا، قد لا يكون له تعلق بالآخر، وليس بين آيات الأحكام وحدة موضوعية في المعنى، فمنها آيات الصلاة، ومنها آيات الربا، ومنها آيات الخمر، وهكذا.
- وأمّا **القسم الخاص** فهو يعتني بذكر موضوع محدد يدخل تحته آيات كثيرة كلها في ذات الموضوع ، كالصبر في القرآن الكريم، ونحوه من موضوعات أخرى، وقد يقيد الموضوع بقيد ما لزيادة التخصيص ، مثل : مآل الصبر في القرآن الكريم. وهكذا، فيعرف التفسير الموضوعي الخاص بأنه : "هو الذي يقوم على وحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينها خاصة وقريبة"(2).

---

(1) المدخل إلى التفسير الموضوعي ص 24.

(2) المرجع السابق ص 25.

- وكان ذكر ابن جزي لهذه الموضوعات بقسميها العام ، والخاص في ثنايا تقسيمات متعددة لعلوم القرآن والتي ذكرها على النحو التالي :

**أولاً : موضوعات القسم العام**

أوردها أثناء :

1- ذكره لخصائص السور المكية والمدنية بين الموضوعات التي تناولتها هذه السور ، فالسور المكية غالبا تشتمل على :

أ- إثبات العقائد. ب- الرد على المشركين. ج- قصص الأنبياء.

والسور المدنية تشتمل غالبها على : أ- الأحكام الشرعية. ب- الرد على اليهود والنصارى.

ج- ذكر المنافقين. د- الفتوى في المسائل. هـ- ذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم.

- 2- ذكره للمعاني والعلوم التي تضمنها القرآن الكريم في الباب الثالث، وقد تناولها جملة وتفصيلا على النحو التالي :

- **أولاً : من حيث الجملة** : ذكر أن المقصد الأساسي الذي هو إيجاد التوحيد السليم، ثم إيجاد المنهج الذي يحقق هذا المقصد ، وأن المحرك لتطبيق هذا المنهج هو الإيمان السليم المتضمن العقيدة الصحيحة.
- وقد تناول في هذا الباب موضوعين رئيسين يتفرع عنهما أربعة موضوعات :

**الموضوع الأول:** المقصود بالقرآن الكريم وهي دعوة الخلق إلى عبادة الله وحده، ويندرج تحتها أصول العقائد وأحكام الأعمال.

**والموضوع الثاني :** الدخول في دين الله تعالى، وله باعثان أساسيان هما : الترغيب ، والترهيب.

**ثانياً : من حيث التفصيل** : ذكر موضوعات أخرى عامة أدرجها ضمن معاني القرآن الكريم حيث قال :" أن معاني القرآن سبعة : هي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص" [1] ثم تكلم على كل واحدة منها في أسطر وباختصار شديد للفقرات الأساسية للموضوع، ولم يستعرض الآيات القرآنية في أغلب هذه الموضوعات، وإنما ذكر في بعضها أهم بعض تلك الآيات التي تميزت بالإشارة لأساسيات الموضوع، حيث قال في كلامه عن بيان أوجه الحكمة في تكرار القصص : "أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدّد ذكرها بتعدّد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات ، وذكر إهلاك من كذّبهم بأنواع من المهالك، ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه

---

[1] التسهيل (14/1).

وسلم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: { مَا كُـنتَ تَعلَمُها أنتَ وَلا قَومُكَ مِن قَبلِ هَذَا} [هود: 49] ، ومنها إثبات الوحدانية ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال : {فَمَا أغْنت عَنهُم آلِهَتُهُم اللاتِي يَدعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَيءٍ} [هود: 101]، و----، ومنها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء : كقوله : {ولقد كذبت رسل من قبلك}[الأنعام : 34]" (2).

**موضوعات القسم الخاص :**

كان ذكره لها مفرقاً، وقد أشار إليها في المقدمة وهي : ( الشكر، والتقوى، والذكر، والصبر، والتوحيد، ومحبة الله تعالى، والتوكل، والمراقبة، والخوف، والرجاء، والتوبة، والإخلاص)، وجعلها من مقامات التصوف واستطرد في بيّانها بوضوح أثناء تفسيره، حيث وقف عند كل موضوع منها وفصَّل فيه، وقد وافق منهجه فيها منهج المعاصرين في التفسير الموضوعي في بعض الجوانب ، وكان عمله على النحو الآتي :

1- جعل للموضوع عنوانا مستخلصاً من اللفظ القرآني ؛ إما صراحة، وإما مشتقاً، ولم يجعله معنى من المعاني.

2- جمع الآيات التي ترسم الموضوع، سواء التي تنص عليه صراحة، أو تشير إليه إشارة.

3- قسم الموضوع إلى عناصر مترابطة، منتزعة من معاني الآيات ذاتها،وربط بينها برباط علمي متناسق.

4- حدد دلالات الألفاظ القرآنية من خلال النظرة الكلية الجامعة لها.

5- ذكر الآيات حسب المعنى المراد استخراجه منها ولم يلتزم ترتيب الآيات حسب السورة ورقم الآية.

6- اكتفى في أغلب هذه الموضوعات بذكر موقف القرآن منها ولم يستطرد، مما ميز تفسيره لها بالموضوعية والتحديد.

## المبحث الثالث : نماذج تطبيقية من تفسير ابن جزي.

**وفيه مطلبان :**

### المطلب الأول : نماذج تطبيقية للموضوعات القسم العام.

- لقد كان ذكر ابن جزي – رحمه الله تعالى – للموضوعات العامة للقرآن الكريم في المقدمة عرضا لا غرضا وذلك لعدم الوقوف عليها أو الإشارة إليها أثناء تفسيره في مواضعها من القرآن.
- ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

---

(2) التسهيل (15/1).

1- ذكر أن السور المكية تتضمن غالبها ثلاثة موضوعات وإذا نظرنا إلى تفسيره لهذه السور فإنه لا يتطرق لذكر هذه الموضوعات إلا فيما يتعلق ببيان معنى الآية ، ولا يقف عندها بل يجعلها ضمن السياق.

1- **مثال لإثبات العقائد** : قول الله تعالى : {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [سورة الجاثية : 21] قال ابن جزي :" في تأويلها مع ذلك قولان : أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار ، لا في المحيا ولا في الممات ، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة ، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء ، والقول الآخر أنهم استووا في المحيا في أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون في الممات ، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون فالمراد بها إثبات الجزاء في الآخرة ، وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة ، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله : { أَفَنَجْعَلُ المسلمين كالمجرمين } [ القلم : 35 ] { أَمْ نَجْعَلُ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات كالمفسدين فِي الأرض أَمْ نَجْعَلُ المتقين كالفجار } [ ص : 28 ] ,{ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ } هذه الجملة بدل من الكاف في قوله : { كالذين آمَنُواْ } وهي مفسرة للتشبيه ، وهي داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار وقيل : هي كلام مستأنف؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذي اخترناه"(1).

2- **مثال للرد على المشركين سورة الكوثر** : قام بتفسيرها، وأشار إلى موضوع من الموضوعات المشتملة في السور المكية وهو الرد على المشركين فقال في تفسير قول الله تعالى :{ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر } : " الشانئ هو المبغض ، وهو الشنآن بمعنى العداوة ، نزلت هذه الآية في العاصي بن وائل ، وقيل : في أبو جهل على وجه الرد عليه إذ قال : إن محمداً أبتر أي لا ولد له ذكر ، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أي مقطوع عنها ، ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر ، مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم "(1).

3- **مثال لموضوع قصص الأنبياء** : سورة ص والتي تسمى بسورة داود عليه الصلاة والسلام. فالسورة مكية وآياتها (88) آية ، والسورة تضمنت الموضوعات الثلاثة السابقة ، وكان لقصص الأنبياء النصيب الأوفر فمن آية (1-11) ذكر فيها موقف المشركين من النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم ، والرد عليهم ، ومن (12-16) إنذار الكفار بمن سبقهم. ومن آية ( 17-26) قصة داود عليه الصلاة والسلام ، ومن آية (27-29) بيان

---

(1) التسهيل (محرم / رمضان ربيع أول شوال صفر).

(1) التسهيل (محرم / محرم جمادى أول جمادى ثان صفر).

فضل القرآن الكريم وإثبات البعث ، ومن آية ( 30–40) قصة سليمان عليه الصلاة والسلام. ومن آية ( 41–44) قصة أيوب عليه الصلاة والسلام، ومن ( 45–54) قصة إبراهيم وذريته عليه الصلاة والسلام ، ومن (55–64) بيان لحال الطغاة يوم القيامة، ومن ( 64–70)بيان لصدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولأهمية القرآن الكريم، وختمت السورة بذكر قصة آدم عليه الصلاة والسلام من آية (71–85). ففي تفسيره لهذه السورة لم يقف على الموضوعات كوحدة موضوعية وإنما ذكرها أثناء تفسيره لآياتها(2) .

**المطلب الثاني : نماذج تطبيقية للموضوعات القسم الخاص.**

سأكتفي فيه بذكر مثالين من أمثلة القسم الخاص من أول القرآن ، وآخره:

**المثال الأول : الصبر** ، قال ابن جزي :" ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعاً ، وذلك لعظمة موقعه في الدين . قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاّ الصبر فإنه لا يحصر أجره، لقوله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [ الزمر : 10 ] وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة: أولها: المحبة ، قال :{ والله يُحِبُّ الصابرين } [ آل عمران : 146 ]، والثاني : النصر قال : { إِنَّ الله مَعَ الصابرين } [ البقرة : 155 ]، والثالث : غرفات الجنة . قال : { يُجْزَوْنَ الغرفة بِمَا صَبَرُواْ } [ الفرقان : 75 ]، والرابع : الأجر الجزيل قال : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [ الزمر : 10 ] والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية ، ففيها البشارة قال : { وَبَشِّرِ الصابرين } [ البقرة : 155 ] والصلاة والرحمة والهداية { أولئك عَلَيْهِمْ صلوات مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولئك هُمُ المهتدون } والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع، وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبر بها ، وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها ، وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها وفوق الصبر التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهراً وترك الكراهه باطناً، وفوق التسليم : الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة وكل ما يفعله المحبوب محبوب"(1).

---

(2) التسهيل (177/1).

(1) التسهيل (مُحَرَّم / جُمادى ثان رجب).

يلاحظ أن ابن جزي لم يسرد جميع الآيات التي أشار إليها في الموضوع تحت كل عنوان ، وعمله هذا لا يقال عنه أنه مندرج في تفسير القرآن بالقرآن (2)، وإنما يتناول أهم موضوعات الصبر في رأي ابن جزي – رحمة الله تعالى عليه –

**المثال الثاني : الإخلاص** – نسأل الله أن يرزقنا إياه– قال ابن جزي :" الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء ، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال ، وهذا الإخلاص في التوحيد من الشرك الجلّي ، وهذا الإخلاص في الأعمال من الشرك الخفيّ ، وهو الرياء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرياء الشرك الأصغر »(3)، وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول : « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه»(4) .

وأعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع : مأمورات ومنهيات ومباحات ، فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله ، بحيث لا يشوبها بنية أخرى ، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول ، وإن كانت النية لغير وجه الله ، من طلب منفعة دنيوية ، أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود ، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال . وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ، ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر ، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر، فإن كل مباح يمكن أن يصير قُربَه إذا قصه به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام"(5).

## المبحث الرابع : موازنة في أحد موضوعات القرآن الكريم بين ابن جزي، وأحد المعاصرين .

---

(2) هناك من ذهب إلى أن معظم ما قيل عن البدايات التاريخية للتفسير الموضوعي يندرج غالباً في تفسير القرآن بالقرآن. ينظر : منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، د/ سامر عبد الرحمن رشواني. ص مُحَرَّم جمادى ثان ربيع أول.

(3) مسند الإمام أحمد (428/5)، والمستدرك على الصحيحين (8055).

(4) صحيح مسلم (2985).

(5) التسهيل (مُحَرَّم / جمادى أول ربيع أول جمادى ثان صفر).

الفرق في تناول الموضوع بين المتقدمين، والمتأخرين أن الغالب على السابقين في مناقشة الموضوع قلة سردهم لعناصره، واختصار عباراته، ذات الدلالات الواسعة في المعنى، وأن الغالب على المعاصرين إطالة الكلام وكثرة عناصر الموضوع، والخوض في الجزئيات.

ولعل السبب في ذلك يرجع – كما سبق ذكره – إلى عدم الحاجة إلى الإطالة عند المتقدمين، و ضرورة سرد التفاصيل والجزئيات عند المعاصرين، فعناية السلف بالنص كانت أكثر من عنايتهم بالموضوع، لأنهم كانوا يرون أن التفافهم حول النص القرآني مخرجا لهم من المشكلات ، وليس الالتفات حول الموضوع، إذ الرجوع إلى النص يقلل من الخلاف، بينما الرجوع إلى الموضوع يشعبه.

وسأكتفي بذكر مثال واحد يكون نبراساً لغيره.

**مثال** : موضوع الصبر(1) الذي تطرق إليه ابن جزي في تفسيره ، فقد تناوله أحد الباحثين المعاصرين بعنوان : (الصبر في القرآن الكريم) (2) تناول هذا البحث : تعريف الصبر، وضرورته، وحكمه، ودرجاته، وفضله ومجالاته، والوسائل المعينة عليه، ونماذج من الصابرين. بينما تناوله ابن جزي في النقاط التالية : ذكر عدد وروده في القرآن الكريم، وبيان أهميته، وثمراته وبيان ثمانية أنواع من كرامة الصابرين، وأوجه الصبر، ذكر الفرق بينه وبين التسليم، والرضى.

مما سبق يتبين اتفاق الطرفين في أصول الموضوع، واختلافهما في منهجية البحث، فالنظر الموضوعي لرؤوس المسائل يختلف باختلاف الباحث، مع وجود قدر مشترك بين الطرفين.

فابن جزي أعطى نظرة مختصرة جامعة للموضوعات العامة والهامة والأساسية لموضوع الصبر، والباحث توسع في ذكر جزئيات الموضوع، وتوسع في النظرة إليها مناقشا كل جزئية منها.

وهناك اتحاد بين الطرفين في تناول بعض جوانب الموضوع مع اختلاف التعبير فمن ذلك :

| **ابن جزي** – رحمه الله تعالى– | | **المعاصر** – حفظه الله تعالى– |
|---|---|---|
| **1- أنواع كرامة الصابرين** | = | **فضائل الصبر** |
| المحبة، والنصر | = | تعليق الفلاح به، ومضاعفة الأجر |

---

(1) وددت لو أنني عقدت هذه المقارنة في موضوع الصبر بين ابن جزي وأكثر من واحد ممن بحث فيه ، ولكن لضيق الوقت وازنته بأحد أولئك الفضلاء الذين كتبوا فيه، وفي النية إن شاء الله تعالى التوسع فيه فيما بعد.

(2) هذا الموضوع مادة ألقاها د محمد عبد العزيز الخضيري بكلية المعلمين بالرياض ضمن مادة التفسير الموضوعي . النت موقع صيد الفوائد.

غرفات الجنة، والأجر = الإمامة بالدين به، والظفر بمحبة الله
البشارة، والصلاة = جعله عون، وعدة ، وأمر بالاستعانة به
الرحمة، والهداية = علق النصر به، وجعله سبب لدخول الجنة المغفرة والأجر، ومن عزم الأمور.

**2- أوجه الصبر = مجالات الصبر**

صبر على البلاء = على بلاء الدنيا
صبر على النعم = على مشتهيات النفس
صبر على الطاعة = على مشاق الدعوة
صبر عن المعاصي = الصبر حين البأس
الصبر في مجالات العلاقات الإنسانية

# الخاتمة

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به.

هذا وإن ابن جزي تعرض لذكر موضوعات القرآن العامة، والخاصة في مقدمته ،وتفسيره، غير أنه في تفسيره مرّ بها مرورا سريعا غالبا شأنه في ذلك شأن المفسرين السابقين غيره ممن سبقوه، وقد فصل في بعض هذه الموضوعات، وهذه الجولة السريعة في جانب من نظر السابقين نظر ـ رحمة الله عليهم ـ لا يمكن أبدا أن يُدَّعى إحاطتها بالموضوع إلاّ في جزء يسير منه، مما يستدعي مواصلة الجهد لإظهار هذه النظرات إلى ساحة الواقع، وفاء لأصحابها. وما كان نظر ابن جزي – رحمه الله تعالى– إلاّ مؤلف يسيرا ضمن مؤلفات كثيرة عبر التاريخ، ولكنها جيدة أسهمت في تجلية مضامين موضوعات القرآن الكريم.

ويمكن أن نلخص إجمالا أهم مضامين هذا البحث فيما يلي :

- منهج ابن جزي في تفسيره منهج فريد في الجمع والعرض والتنسيق والتبويب، والوضوح، وقد شمل شيئا من التفسير الموضوعي، فمثل هذه الكتب صالحة لأن توضع مناهج دراسية.
- إن وجهات نظر المفسرين تختلف في تحديد التصور القرآني لموضوعاته، وكانت لابن جزي نظرة عامة حول موضوعات القرآن الكريم، ونظرة خاصة لموضوعات معينة منها.
- معرفتنا للنظرة الموضوعية عند ابن جزي، وأمثاله فيها ردّ على من أدّعى أن السلف المتقدمين ومن تلاهم من العلماء العارفين لم يكتبوا في موضوعات التفسير الموضوعي، ولم يتنبهوا لها ومن أدّعى السبق فيه للشيعة أو المستشرقين، فالسلف قد عرفوا ذلك، وذكروا ضروبا منه و ألواناً لكن لم يشتهر عندهم بهذا المصطلح، ولا عرف لديهم بهذه المنهجية مع كونهم كانوا به عارفين و لفوائده الجمة مدركين، ولا أدل على ذلك من استحضارهم للآيات المتعلقة بالموضوع عند استشهادهم بها .
- اتسمت نظرة ابن جزي في تناوله للتفسير الموضوعي بالاستعانة بفهم السلف الصالح للنص وعدم الاتكال على العقل أو الاجتهاد الشخصي وحده، ولعل هذا ما يميز به التفسير الموضوعي لدى الأقدمين عن المتأخرين.
- جمهور الأمة خلفا وسلفا تناولوا موضوعات القرآن الكريم.
- ضمن المفسرون السابقون تفاسيرهم – التي تميزت بلون التفسير التحليلي – التفسير الموضوعي من خلال تفسيرهم للقرآن بالقرآن، فما أطلق في مكان منه قيد في مكان آخر وما ذكر موجزا في موطن منه ذكر مفصلا في آخر ، وجمع الآيات ذات الموضوع الواحد لإزالة ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيه ذلك

توجيهاً سليماً.

- يُعدّ تفسير ابن جزي من ضمن من أولى اهتماما لا يخفى للتفسير الموضوعي .

- الاتجاه الذي تضمنه تفسير ابن جزي من اتجاهات التفسير الموضوعي هو الاتجاه المهتم بالموضوعات داخل النص القرآني عموما(1).

- يوصي البحث بـــ :

1- ضرورة الاهتمام بالمنهجين أعني منهج المتقدمين، ومنهج المتأخرين، ودعوة المعاصرين إلى حسن الاستفادة من المتقدمين.

2- عدم المسارعة إلى نفي جهود السلف في هذا المجال دون فهم لمقاصدهم وطرائقهم.

3- عدم تحكيم مصطلحات المتأخرين ومناهجهم على مصطلحات ومناهج المتقدمين.

4- دراسة مناهج المتقدمين لا سيما المفسرون الذين تطرقوا في تفاسيرهم للموضوعات القرآن الكريم والموازنة بينها وبين موضوعات المعاصرين من حيث منهجية العرض.

وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية أبراز جهود علمائنا السابقين، وعدم بخسهم حقهم في بيان عنايتهم بتجلية موضوعات القرآن الكريم، وكون مصطلح "التفسير الموضوعي" ما عرف إلا في العصر الحاضر لا ينفي عدم وجود هذا العلم لدى الأقدمين.

بل كانت لهم العناية المتميزة والجهود المشكورة والأيادي العلمية المشرقة ، من حيث الجمع والترتيب والدراسة والاستنباط، وقد تعددت المواضيع القرآنية التي ألفوا فيها (1) والنظرة المقدمة في البحث من تجلية عناية المفسرين السابقين لهذا اللون من ألوان التفسير قليل من كثير مما في تراثهم.

وختاماً أحمد الله جل جلاله على ما يسَّر وسهَّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) للتفسير الموضوعي ثلاث اتجاهات، أولها الاتجاه المتهم بالمفردة القرآنية وأهميتها داخل النص القرآني، وثانيها الاتجاه المهتم بالسورة كبناء تدور مقاطعة كلها حول موضوع موحد، وثالثها الاتجاه المهتم بالموضوعات داخل النص القرآني عموما.

(1) ومن تلك المواضيع كتاب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للحافظ مقاتل بن سليمان الأزدي ت 150 هـــ رحمه الله تعالى وكتاب"تفسير الخمسمائة آية في الأمر والنهي والحلال والحرام " جعل ترتيبه على طريقة الفقهاء- رحمهم الله- في تأليفهم.

# فهرس المراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لمحمد بن عبد الله السلماني، الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ) تحقيق : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ،1397هـ = 1977م.

- البداية في التفسير الموضوعي، د/عبد الحي الفرماوي، ط1 ،1976م.

- التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن جزي الغرناطي ت 74هـ، أعتنى بتنقيحه : د/عبد الله الخالدي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، والتوزيع – بيروت–لبنان.

- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دراسة نظرية وتطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوع، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط2 ، 1422هـ=2001م.

- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لمحمد أحمد القاسم.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، اعتنى به : عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1418هـ.

- صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت : محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

- المسند، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ/1999م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، 1353هـ = 1935م .

- مباحث في التفسير الموضوعي، د مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط 30، 2000م.

- المدخل إلى التفسير الموضوعي/ د عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2 ,1411هـ = 1991م.

- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، د/ سامر عبد الرحمن رشواني، دار الملتقى، ط1، 1430هـ = 2009م.

## فهرس الموضوعات

المقدمة ........................................................................ 3

**المبحث الأول : تعريف موجز بمصطلحات البحث**........................................ 4

المطلب الأول : التعريف بابن جزي........................................................ 4

المطلب الثاني : التعريف بتفسير ابن جزي................................................ 5

المطلب الثالث : تعريف النظرة الموضوعية (التفسير الموضوعي) ........................ 6

**المبحث الثاني : موضوعات القرآن في تفسير ابن جزي** ........... 6

**المبحث الثالث : نماذج تطبيقية من تفسير ابن جزي**.................................... 9

المطلب الأول : نماذج تطبيقية للموضوعات القسم العام.................................... 9

المطلب الثاني : نماذج تطبيقية للموضوعات القسم الخاص ................................ 10

**المبحث الرابع : موازنة في أحد موضوعات القرآن الكريم بين ابن جزي، وأحد المعاصرين**.......... 11

الخاتمة........................................................................ 13

فهرس المراجع ........................................................................ 15